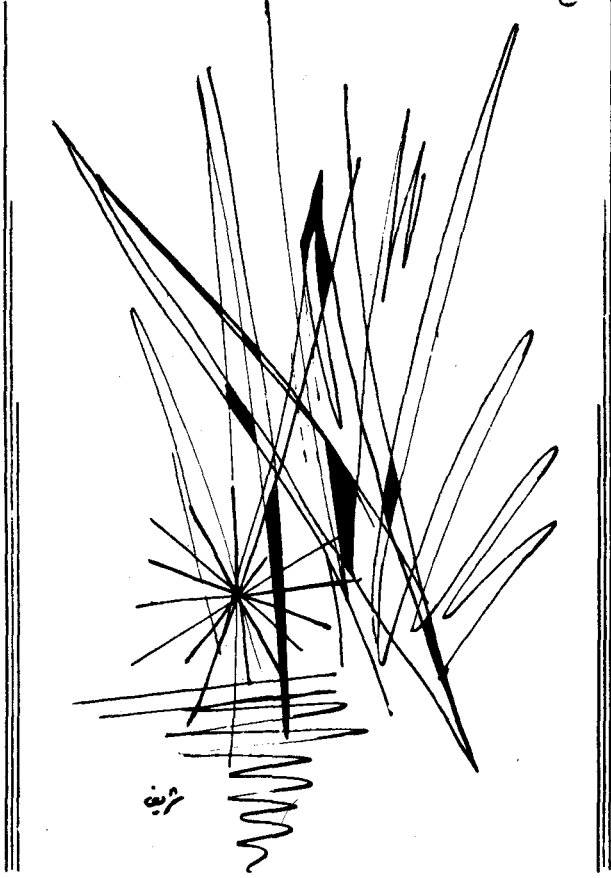


# الضبيع والأرنب

قصة بقلم شفيق الرايس



زاوية مشهورة في البلد ، من يدري اي جيل خصصها لتلاقي الضبيع بالجبينة » .

وفجأة وجدنتي ارتجفت تحت يد وضعت فوق كتفي . التفت ... هو الشرطي السري الذي كان يراقبني . قلت لنفسي : « انفضحنا وانتهى الامر » . لكن الرجل قال : اتبعني ، فتبعته مثل نعجة . وبقيت امشي خلفه حتى شملتنا عنمة شارع ضيق فوقف فوقفت . قلت له : كم تريد ؟ .. وانا اقصد ان ارشوه لعله يفك اسري من فضيحة اكيدة . ولكنه اجابني : « حسب المرأة التي تريدنا » . فقلت في نفسي : « اذن وصلنا .. حضرته قواد وليس شرطيا » . ثم تابعنا مسيرنا معا وتحدثنا طويلا .

لقد شرحت له قضيتي فتفهمها احسن الفهم . وفي الوقت ذاته تفضل حضرته فشرح لي سبب القحط الذي اجذب الزاوية العريقة من زبائنها . ذلك ان الحكومة ، على ما يبدو ، اصدرت قانونا رهيبا لمكافحة البغاء وقطع دابره ، وهو قانون رهيب فعلا اذ ان احكامه اشد قساوة من احكام قانون خيانة الوطن ، هذا علاوة على ان من يحصده قانون خيانة الوطن مرة قد يغادر السجن الى كرسي الحكم احيانا ، بينما يظل من حصده قانون مكافحة البغاء مرة اسير سجلات

تمر ( 1 ) على الانسان لحظات شاذة يتقلب فيها الى ضبيع ضار ، بصراحة يصبح الانسان الثقف المهذب وغدا دنيئا يشمشم روائح الجيف ويتلصص الاعراض الرخيصة ليفور في قذاراتها . يحدث كل ذلك في لحظة مفاجئة . وانا لا اريد ان ابنيكم بقراءة محاضرة في الاخلاق ، اذ لن تنفع في الاخلاق قراءة ، وانما اريد ان اروي لكم بصدق ماحدث لي اول امس . فقد خضعت لشروط الضبيع مترصد الجيف ، ووقفت في عنمة المساء تحت عمود كهرباء معين ، في زاوية شارع خاص ، ارتجفت تحت سياط شيق ملح غامض ، ماهو بالشيق والشهوة الجنسية بقدر ماهو هيجان لعين يبد كل مالدي من قدرة على التمييز والمحاکمات المنطقية وكنتم مافي نفسي من بوادر اخلاقية كانت تجاهد ان تصرخ فيخنقها . باختصار : كنت انتظر ان اتصيد امرأة ولا يهمني شيء .

والغريب انني اندمجت في النزوة النارية اندماجا كاملا . حتى انني اصبحت ارى كل مظاهر الدنيا من خلال « القضية » التي انسا واقف هنا ، في هذه الزاوية المشبوهة اعالجها . كأنني اصبحت ارى الاشياء رؤية اخرى ، هذه البنائيات ، والشارع . هؤلاء الناس كلهم يصلحون للضبيع . « نعم ابحت عن جبينة » واصرت بعناد على ان ما ابيه قدر ولكنني اريد ان اتابعه حتى النهاية .. وكانت الباصات تمر امامي كأنها هي علب تجريدية محشوة بلحوم بشرية رطبة لزجة مغرية . ولم اشعر بحرج او اضطراب الا مرة او مرتين ، عندما عبر الرصيف المقابل رجل يعرفني جيدا - كان صباح اليوم يتوسل الي ان اسمي لتوظيفه في اية وظيفة - ، فالتفت انا الى الناحية الاخرى . وكذلك مر بجانبني رجل خشيت ، من هيئته ، ان يكون من جماعة الشرطة السرية التي كلفها المجتمع بحراسة الاخلاق ، فقلت لنفسي : « لم يبق علينا الا ان يصنف اسمنا في اضبارة خاصة في سجلهم » فسرت بضعب خطوات امامه ، واوهمنه انني انتظر انسانا ما عند موقف الباص ، ثم عدت الى موقفني تحت عمود الكهرباء مصرا عينيا اكاد اصرخ : « اريد امرأة » . ولو ان رجلا فاضلا سألني بروح ابوية : « هل تعاني من سياط جوع جنسي يا ولدي » ؟ ، لاجبته : « لا .. فانا شبعان ، ولكنني هكذا ، نكاية او نزوة ، اريد امرأة » . ولقد ادرت الموضوع في رأسي بعد ذلك وقتلته بحتا كما يقولون ، فنتبين لي انها ليست قضية جوع جنسي او شبع او نزوة او ما يشبه ذلك من التعليلات التي يمكن التحدث عنها بصيغ كلامية واضحة ، وانما هي حالة غريبة لا بد من ان يصاب بها الانسان المهذب المتمدن ، حصيلة ملايين السنين من النمو الاخلاقي والتهذيب الحضاري ، وآنذاك يعود الى حالة انسان عصر ما بعيد في اغوار الوحشية . لقد كنت تلك الليلة مجنونا ، تصوروا انني يعد ان طال بي الوقوف في الزاوية المشبوهة كدت اعترض سبيل سيدة او اثنتين كنت واثقا من انهما ليستا غرضي .. والعناية الالهية وحدها الجمعتني اخر لحظة . فعدت ابصمص في كل اتجاه « لا بد من ان تمر واحدة منهن امامي ، فهذه

( 1 ) يلاحظ من اسلوب القصة ، وموضوعها ، انني لست كاتبها . وانما ينحصر دوري في نقلها من يد كاتبها - وهو رجل شديد الهمية فسي المجتمع - الي يد قارئها ، يحييني الشعار القائل : ناقل الكفر ليس بكافر .

فقال الرجل الذي رمينا حجرا اسود في بحيرة امته اليلورية :  
ولكن .. ولكن الوقت متأخر جدا .. كم الساعة الان ؟  
اجابه الثاني : هذا لا يهمك .. أين المرأة ؟  
فقال زوجها : «ولكنها نائمة .. في عز نومها» . وكانت كلماته  
مضطربة مرتجفة . كاني شعرت به يتوسل الى الثاني الذي لا تؤثر  
الانفعالات - وخصوصا العطف - على تجاعيد سحنته : « ارجوك .  
اتوسل اليك . اقبل يديك اعف عنها .. نحن لا نريد ان » . لكن  
الرجل اليباس قال بلهجته الحاسمة : « اوقفها حالا » ثم التفت  
الي وسحبني من يدي « تفضل يا استاذ » ودفع زوجها من الباب  
بيده الاخرى فدخلنا . وقادني الي مايشبه غرفة استقبال ضيقة  
واشعل النور - كان السقف واطنا - . وقال : « تفضل .. خذ  
راحتك » ثم امر زوجها : « قلت لك اذهب ابقظها حالا . » لكن  
زوجها لم يتحرك بل كان لا يزال جامدا كالخاوذ . مما دعا الرجل  
العظيم لان يتهض فيقوده بلطف الي غرفة مجاورة ، وهناك اخذا  
بتهامسان .

في الواقع هنا تبدأ قصتي . كانت الحجرة - على ضيقها -  
منسقة نظيفة ، مما زاد في كآبتي . وكان ثمة وردة ذابلة في كاس ،  
وهمهمة مكتومة في الغرفة المجاورة . اما عندي فلم يكن ثمة غير  
هذه المقاعد الصامتة والوردة و .. رفعت رأسي الي اليمين  
وجدت صورة « العروسين ليلة الزفاف » . كان زوجها يتسم ، ولن  
اتحدث عنها هي . وكان بجانب هذه الصورة التذكارية اطار كبير  
يحيط بوثيقة اجتماعية رهيبة تنص على ان زوجها مجاز في الآداب  
من جامعة « .. » . واوشكت انهض مسرعا نحو الباب اريد ان  
اهرب . لا شيء يدركه عقلي . وفعلا نهضت عن الاريكة . لكن عيني  
وقعت على امرأة بقميص النوم ، كانت واقفة بالباب تنظر الي الارض  
باستحياء . فسقط الصبح على الاريكة وقد اصبح كلبسا مبجوح  
الحجرة . كنت ارتجف . اما هي فقد ظلت واقفة امامي لحظات  
ثم قالت :

- قالوا لي ان ارحب بك .

ثم تشاءبت غصبا عنها . فقد كان النوم لا يزال عميقا في عينيها .  
ظلت مطرقا في الارض ايضا .. كنت انظر الي اصابع يدي  
المتشابكة بارتخاء تام في حضني . لا شيء يدركه عقلي . كانت  
اصابعي حيوانات غريبة متعاقدة ، عقدة عقدة ، وكان في كل اصبع  
منها حيوان غريب صامت . كل شيء صامت .  
قالت المرأة ، وصوتها صوت بنت بيت خجول : هل تسمح لي  
بان اجلس بجانبك ؟

لم اعرف بم اجيبها ؟ كنت في دوامة . وعرق بارد اخذ يتسلل  
من تحت كم قميصي ويجري فوق اصابعي المتهالكة في حضني . كان  
ثمة شيء ما يشبه الحزن ، يشبه غصن آس ، يشبه سكاكين حادة  
تتقاطع في احشائي . ولم اجرؤ على ان احرك رأسي اية حركة .  
على ان المرأة تقدمت وجلست بجانبني على الاريكة الطويلة ، مما  
جعلني اطمئن قليلا .. وبقينا صامتين . اظننا كنا نشبه تمثالي  
خطيئة ناقصة . وفيما بعد ، حين ادرت القضية في رأسي ، وجدت  
اننا كنا في هذا الموقف نعيش ندما عجيبا لكنه ندم خالص رائع  
في صفاته .. لم يدم ذلك اكثر من لحظات . لكنها كانت لحظات  
ثقيلة مليئة .

قالت : اصبح البيت فارغا ..

لم اتحرك .

ثم قالت : خرجوا .. ذهبوا الي السطح من نافذة الغرفة .

لم اتحرك .

ثم قالت : هل اعد لك مشروبا؟؟ .. قالوا لي انك تريد عرقا .  
كانت كلماتها معجونة بتشاؤب ناعس . اما انا فقد كنت احاول ان

ونزوات رجال الشرطة الاخلاقية الي الابد ، دعكم من لعنة المجتمع .  
ثم قال الرجل : اذا كنت تريد ان تتحاشى الفضيحة فاطلب  
بضاعة عالية .

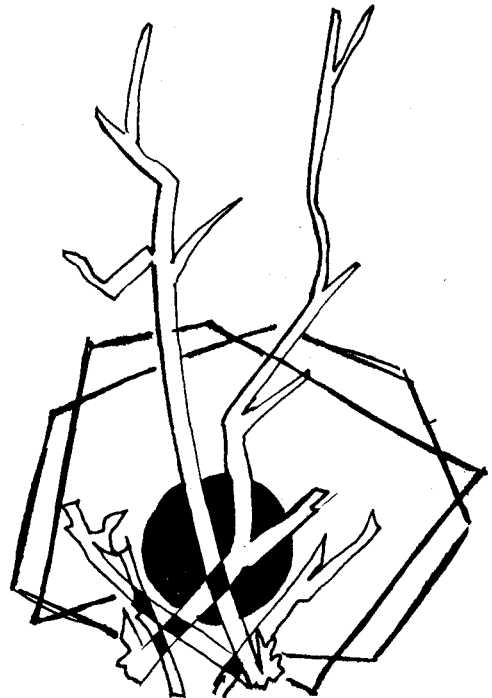
قلت : ان ما اطعم به هو البضاعة العالية ، ولا تهمني التكاليف .  
قال : نحن اليها ساترون .

والتفت الي الرجل اتفحصه من طرف عيني . كان رجلا عظيما .  
اعظم ما فيه انه مؤمن بعملة ايمانا مخلصا ، دون داع لبحث الاسباب  
او التفاصيل . كما ان له ميزة اخرى تمنيت ان يكون لدي بلطف  
حادة اشق بها رأسه اكراما لها . ذلك انه رجل يحول بين التعابير وبين  
معالم وجهه ، فهو - اي وجهه - في كل الانفعالات والهيجانات وجه  
واحد . وخصوصا في الحالات التي تعنتت القلب عطفًا او شفقة  
فانه يظل وجهها ساكنا ، اية عضلة في سحنته لا تتحرك . وقلت في  
نفسي : « هذا رجل يفهم كل شيء » . ثم قال حضرته : « وصلنا ..  
تفضل من هنا » . وصعد امامي درج بنائية عالية وصعدت خلفه .  
وبقينا نصعد ونلهث حتى وصلنا الي ذلك النوع من البيوت الذي  
يسمونه ملحقا . فقرع الجرس . واخذت اصور لنفسي شكل المرأة  
التي سوف تفتح لنا الباب . « لا شك انها حورية من حوريات  
الجنة .. ليتني شريت عرقا اكثر » .

قال الرجل الذي لا سحنة له : « عندهم ايضا ما تشاء من  
المسكرات . وبرادهم مليء بالوان المازة » . فسألته مستغربا : من هم؟  
قال : « المرأة وزوجها » . ثم قرع الجرس مرة اخرى وتابع  
حديثه : « انت تريد العنب ام الناطور؟؟ لا توجه رأسك بالاسئلة» .  
قلت : بل اريد ان اعرف حقيقة هذين الزوجين ، مشكلتهما ؟  
قال : اعتقد بان موفقك لا يسمح لك بان تبحث .

فهزرت رأسي موافقا . وفي الوقت ذاته بدأت اشعر بان ضباب  
حالي الهيجانية اخذ يشف حول رأسي كأنما انياب الصبغ اوشكت  
تذوب . وتشتت نفسا عميقا واحسست بحاجة ملحة الي سطل ماء  
بارد يراق فوق رأسي : « المرأة وزوجها»؟؟

وفتح زوجها الباب .. كان يفرك عينيه ، وكانت هيئته تدل  
على انه غادر السرير توا . كان مسحوبا الي الالهانة من صلب  
طمائنته . لكنه نظر الي الثاني وقال : نعم !!  
فقال الثاني الذي لا سحنة له : اونلعب؟! تريد ان ندخل .



# الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

بيروت  
ص.ب. ٤١٢٣ - تلفون ٣٢٨٣٢

## الإدارة

شارع سوريا - رأس الخندق العميق ، بناية الاسمر

★

## الاشتراكات

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : جنيهان استرلينيان

او ٦ دولارات

في اميركا : ١٠ دولارات

في الارجننتين : ١٥٠ ريبالا

الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما

حوالة مصرفية او بريدية

★

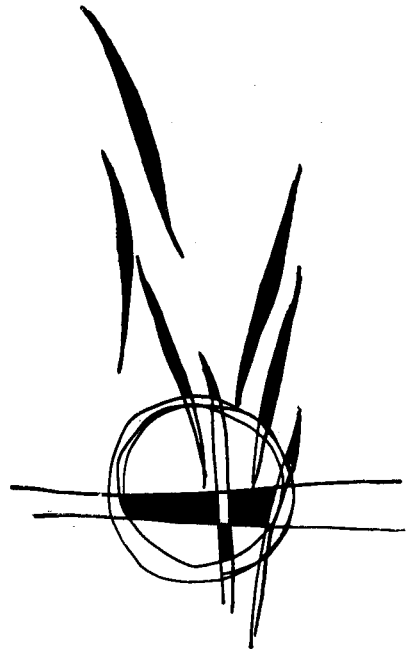
## الإعلانات

يتفق بشأنها مع الإدارة

★

توجه المراسلات الى

مجلة الآداب ، بيروت ص.ب. ٤١٢٣



اجبر رقبتي على ان تتحرك قيد انملة .. رايت يدها . كانت يدا  
نحيلة بيضاء لاطية فوق ركبتيها .. كانت يد انسان ، رفيعة ، هشة .  
وكانت اصابعها نحيلة طويلة ايضا . وشعرت بانني ادخل هالة  
رائحتها الخاصة . وشعرت بانني اطا حرمة هالة مقدسة تخص انسانا  
ما ، واعيت فيها . وارتجفت كما لو مسني تيار مفاجيء . وفي الوقت  
ذاته غمرني احساس كامل بالالفة . كأنما انا عشت مع هذه المرأة  
قبل ان يخلق الله الدنيا باربعة الاف سنة . الا ما احدى اطمئنان  
الطفل ورأسه على صدر امه ... ثم وجدنتي افرك شفتي السفلى  
واعضها . لكنني لم استطع التقلب على دعمة نفرت من عيني . كانت  
دمعة باردة بطيئة .

قالت المرأة التي في صوتها بنت بيت خجول : اذن ماذا تريد ؟  
كم كنت اتمنى ان ارحل وانطلق في الشوارع حرا حريصة  
فعلية .. صممت . شددت من عزيمتي ، ضغطت على عضلات ساقي ،  
ثم وقفت ووضعت تحت كاس الورد الذابلة ورقة مالية من فئة  
كبيرة ، وتوجهت نحو الباب ، وكدت انطحه لانني لا ازال اخاف  
ان اراها . وحين فتحت الباب وجدنتي انطلق كالسهم وانزل الدرج  
مثل مجنون ملاحق بمائة عصا . كانت افواه سوداء مفرجة تلاحقني  
وتترصدني في منعطفات هذا الدرج المظلم الحالك . وبقيت انزل  
بسرعة ثم اركض . وفي الشارع ركضت ايضا وبقيت اركض وانلقت  
خلفي . اذ ربما لاحقني الرجل العظيم الذي لا تؤثر على سحنه اية  
رجفة بشرية ، وربما امسك من رقبتي وارجعني الى بيتها غضبا .  
واشرت لاول سائق تكسي . ودلقت الى سيارته واغلقت الباب  
بشدة وقلت : بسرعة .

قال السائق : الى اين ؟

قلت : بسرعة الى اقصى مكان يمكنك ان تصل اليه .

قال : فهمت عليك .

واوصلني الى اقرب خمارة .

شريف الراس

دمشق

الصورة بريشة كاتب المقال